

مُحَاضِرَاتُ

الْاِخْتِيَارِ عِنْدَ الْاِمَامِ اِبْنِ مَجَاهِدٍ

ت: ٣٢٤ هـ



تَقْدِيم

أ.د/ السَّيِّدُ الْمُجَنَّبِيُّ الشَّنَقِيطِيُّ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى



الاختيار عند الإمام ابن مجاهد (٣٢٤ هـ)

تقديم أ.د. السالم الجكني الشنقيطي
حفظه الله تعالى

أصل هذه المادة - تفرغ محاضرة قام بتقديمها فضيلة

أ.د. السالم الجكني

يوم الثلاثاء ٩-٦-١٤٤٤هـ-

ضمن فعاليات "أكاديمية الجنة مبتغانا".

ولم تراجع من الشيخ... فلا بد من الرجوع للمادة الصوتية...



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى
آله وصحبه ومن والاه.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

.....

حقيقة الاختيار من المسائل التي لم تدرس الآن، وإن كان هناك رسالة علمية كتبها
أخونا الدكتور/ أمين إدريس حفظه الله في جامعته المذكورة، وأعتقد قبل خمسة عشر
عامًا تقريبًا، لكن كانت رسالة واحدة حسب علمي، فلهذا هذا الموضوع حقيقةً يُحتاج أن
يكتب فيه، وهو مهم جدًا متعلقٌ بباب الدراية في علم القراءات، لكن الإخوان هنا في
الأكاديمية رأوا أن تكون المحاضرة عن الاختيار عند الإمام ابن مجاهد، وإذا عرفنا الاختيار
عند ابن مجاهد ربما يكون هو المفتاح الذي من خلاله ندخل على الاختيار عند بقية القراء.

وقبل أن نبدأ هذه المحاضرة وهي بعنوان "الاختيار عند ابن مجاهد -رحمة الله عليه"
نقوم بتعريف الاختيار أولاً، وطبعًا الدخول إلى أي علم من العلوم لا بد أن يعرف فيه أولاً
بمعناه اللغوي ثم بمعناه الاصطلاحي، والمقصود بالمعنى الاصطلاحي: هو المعنى الذي يفهمه
أهل التخصص من هذه الكلمة، يعني ربما أقول أن الاختيار عند أهل القراءات يفهمه
صاحب الفقه بمفهومٍ آخر غير المفهوم عند أهل القراءات.

وربما أقول الاختيار عند المحدثين يفهمه صاحب القراءات بمفهوم يخالف ما
يفهمه أهل الحديث، ولهذا المصطلحات عند كل علمٍ هذه أهم حاجة أن الإنسان يبدأ بها
سواءً في التأليف أو سواءً في المحاضرة أو في الندوات.

• فنقول كما قال الإمام ابن فارس رحمه الله في كتابه: مقاييس اللغة أو مقاييس
معجم اللغة، يقول: الخاء والياء والراء أصلٌ.

يعني أي كلمة فيها خاء وياء وراء هذه الثلاثة أحرف هي أصل الكلمة، كل ما ينتج بعد
ذلك: الاختيار، المختار، إلى غير ذلك أصله هو هذه الكلمة أنه يرجع إلى الخاء والياء والراء.

هذه الكلمة أو هذا الأصل له عدة معاني: منها العطف، ومنها الميل، ومنها الاصطفاء والانتقاء.

وهذا المعنى هو الذي يهمننا الاصطفاء والانتقاء، هذا المعنى اللغوي وهو الاصطفاء والانتقاء هو أقرب المعاني اللغوية إلى المعنى الاصطلاحي عند أهل القراءات فيما يظن هذا العبد الضعيف.

• **أما ما يتعلق بالمفهوم الاصطلاحي عند أهل القراءات حقيقةً** كتبوا فيه وكل واحد يعرفه بما يراه، خلاصة ما يقوله أهل القراءات عن الاختيار:

هو أن صاحب الاختيار أيًا كان، سواء كان ابن مجاهد، الداني، أيًا كان، المهم يكون من أصحاب الاختيار؛ يكون قد قرأ القراءات تلاوةً أو أخذها إجازةً على شيوخ متعددين سواء كان قراءة واحدة، فنقول مثلاً أخذ قراءة نافع بطرقها ورواياتها عن عدة شيوخ، وهؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم قراءة نافع كل منهم له طريقٌ أو له روايةٌ أو له وجهٌ ليس عند الآخر؛ فيجمع هو هذه القراءات بعد أن يقرأها كلها فيخرج بقراءةٍ معينة، هذا هو الاختيار الذي فعله القراء.

الإمام نافع رحمة الله عليه قرأ على سبعين من التابعين، وهو يقول عن نفسه: ما اتفق عليه اثنان أو ثلاثة أخذته وألفت منه هذه القراءات، فالتعريف الاصطلاحي هو أن يعتمد القارئ إلى مروياته عن شيوخه، نقل مروياته وليس اختيارهم من طريق الكتب، لا، وإنما لا بد إذا كان الاختيار صحيحًا لا بد أن يكون صاحب الاختيار قرأ به.

قرأ به بسندٍ متصلٍ، لا يصح له أن يكون له الاختيار بسندٍ منقطعٍ، أبدًا، وإلا لا يسمى اختيار، فهو مثلاً قرأ قراءة نافع، وقرأ قراءة أبو عمرو، وقرأ قراءة فلان وغيره؛ فيختار من هذه المرويات التي رواها ويخرج لنا قراءة كما هي الآن.

يعني قراءة نافع نحن نقول هذا اختيار نافع، طبعًا اختيار نافع هذا مجازًا، لما نقول اختيار عاصم هذا مجازًا، وإلا في الحقيقة هو كله كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم.

..... لكن من باب المجاز نحن نقول اختيار الإمام نافع، اختيار الإمام نافع واختيار القراء العشرة إنما هو اختياراتهم التي قرءوا بها، الأوجه والروايات التي قرءوا بها بأسانيدهم المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الاختيار كان معروفًا من ذلك الزمن إلى أن انتهت الرواية، ولهذا نقول: الرواية وقفت عند الإمام ابن الجزري رحمة الله عليه...

لكن فيما يتعلق الآن بهذه المحاضرة "الاختيار عند الإمام بن مجاهد رحمة الله عليه"، طبعًا الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه توفي سنة ٣٢٤هـ، يعني في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، وترجمته معروفة، وهي موجودة في كتب التراجم.

لكن هذا العالم الجليل وهذا الإمام الكبير لم يصلنا من تراثه إلا كتاب واحد وهو: "كتاب السبعة في القراءات السبعة"، والكتاب الذي وصلنا وهو كتاب السبعة أيضًا هو عبارة عن رواية واحدة من خمس روايات أو سبع روايات أو سبع نسخ من كتاب السبعة.

يعني النسخة التي وصلتنا الآن وهي المعروفة الآن بتحقيق الدكتور/ شوقي ضيف رحمة الله عليه هي رواية وصلتنا من أحد الرواة، هناك بعض الباحثين كتب عن ابن مجاهد، وكتب عن كتابه السبعة، وتتبع الروايات التي رويت عن الإمام ابن مجاهد في كتابه السبعة من خلال كتب التراجم، ومن خلال كتب القراءات، تتبع الروايات فوجد أنها تقارب الخمس نسخ أو السبع نسخ.

هذا مهم جدًا، لماذا مهم جدًا؟ لأن النسخة الواحدة من الكتاب لا تعطينا المعلومة بدقة مائة في المائة، نعطي لها مثال:

الإمام الداني -رحمة الله عليه- جاء عند كلمة -وأعتقد أنها في سورة الأعراف- قال: "والعجب أن الإمام ابن مجاهد لم يذكر هذه الكلمة في كتابه السبعة"، وأخذها منه الإمام ابن الجزري رحمة الله عليه في كتابه في النشر وقال: "والعجب أن الإمام ابن مجاهد لم يذكر هذه الكلمة في كتابه السبعة".

طبعًا لو أخذناه على ظاهره ينتج معنا أن الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه استدركت عليه كلمة قراءة من القراءات لم يذكرها، لكن هذا ليس هو الواقع لأنه وصلتنا رواية أخرى

من كتاب السبعة، وهي النسخة المطبوعة التي عندنا الآن -التي هي قلنا بتحقيق شوقي ضيف-، وموجودٌ فيها وفي متنها هذه الكلمة التي قال عنها الإمام الداني، أو تعجب منها الإمام الداني، وتعجب من الإمام ابن المجاهد أنه لم يذكرها.

هذا يدل على أن النسخة التي اعتمد عليها الإمام الداني رحمة الله عليه من كتاب السبعة ليست هي النسخة التي وصلتنا الآن، وكلام الشيخ ابن الجزري هو تبعٌ لما ذكره الإمام الداني رحمة الله عليه، والعجب أيضاً، نحن نعجب لأن الإمام الداني هو من طبقة تلاميذ ابن مجاهد، يعني بينه وبين مجاهد في رواية كتاب السبعة شخص واحد، يعني هو يأخذ كتاب السبعة إجازةً وليس تلاوةً، يأخذه إجازةً عن أبي مسلم البغدادي، وأبي مسلم البغدادي هو تلميذ لابن مجاهد وهو أحد رواة كتاب السبعة.

يدلنا هذا النص على أن رواية "أبي مسلم محمد البغدادي" عن ابن مجاهد أن هذه النسخة هي التي كانت عنده ولم يضع فيها الإمام ابن مجاهد هذه الكلمة، والنسخة التي وصلتنا من كتاب السبعة ليست من رواية أبي مسلم البغدادي رحمة الله عليه، وبالتالي وجدنا فيها هذه الكلمة.

فبالتالي أصبح العجب ليس مكانه هنا، أو نقول الغلط ليس من ابن مجاهد رحمة الله عليه؛ لأنه ذكر هذه الكلمة، لكن النسخة التي اعتمد عليها الداني واعتمد عليها بن الجزري تبعاً له، رحمة الله عليهم جميعاً، ليست هي النسخة التي انتشرت.

... وكما أكده الباحث أيضاً الأستاذ الدكتور/ أحمد المطيري حفظه الله حيث ذكر أن هناك عدة روايات لكتاب السبعة... إذن عندما نجد في كتب القراءات ينسبون شيئاً للإمام ابن مجاهد وليس موجوداً في النسخة التي عندنا؛ لا نقول ابن مجاهد قال كذا، أو هذا الكلام غير صحيح، لا نقول ذلك؛ وإنما نقول: النسخة التي وصلتنا من كتاب السبعة، وهي إحدى روايات كتاب السبعة ليس فيها هذا. هذا فيما يتعلق بكتاب السبعة.

• نأتي إلى مسألة مهمة جداً وهي من صميم المحاضرة، وهي عبارة قالها العلماء قديماً، قالوا: العبارة معناها أن الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه هو أول من سبغ السبعة، يعني أول من ذكر في الكتاب يعني جمع القراء السبعة، **هنا سؤال:**

لماذا الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه اختار سبعة قراءات مع أنه كانت في عصره قراءات غير السبعة، هناك ثمانية، هناك أكثر مع وجود قراء أيضاً؟ هذه المسألة حقيقةً يحتاج أن نقف عندها قليلاً.

أولاً: الإمام ابن مجاهد صحيح أنه جعل كتابه عن القراء السبعة وهم: نافع، وابن كثير، أبو عمر، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، لكن هل الإمام ابن مجاهد هو أول من سيع السبعة؟

إذا كان المقصود أول من سيع السبعة يعني أول من ألف كتاباً وجمع فيه هؤلاء القراء السبعة الذين ذكرناهم منذ قليل، نقول هذا الكلام يصح، هذا الكلام صحيح أنه أول من سيع السبعة، هم يقولون ذلك حسب ما وصل إليهم من أبحاث، يعني الإمام ابن الجزري، الإمام مكي، الإمام غيرهم.

لكن عندما قالوا هذه الكلمة قالوا: وإنما ألحق الإمام ابن مجاهد "الكسائي" بدل "يعقوب"، ألحق الكسائي، يعني الإمام ابن مجاهد عندما جاء يؤلف عن السبعة وجمع القراء السبعة، يعني حذف يعقوب وجعل بدلاً منه الكسائي، هذا النص يدلنا أو يفهم منه على أن هناك مؤلفات في القراءات السبعة كان من ضمنها يعقوب، لا شك في ذلك؛ لأنه قال: "وألحق بالسبعة الكسائي بدل يعقوب": معناه إن هناك مؤلفات في القراءات السبعة كان من ضمنها يعقوب، لكن نحن نقول هذا النص يفهم منه هذا الشيء الذي ذكرناه، لكن هل هؤلاء الذين ألفوا في السبعة قبل ابن مجاهد وكانوا يضعون يعقوب هو السابع، هل هذه الكتب هي كانت في القراء السبعة الذين كانوا قبل ابن مجاهد؟ يعني ألفوا في السبعة، يعني ألفوا، فيه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة، لكن وضعوا يعقوب بدل الكسائي؟

هذا الذي لا نستطيع أن نجزم به، نحن نجزم بمفهوم النص، نجزم بأن هناك قبل الإمام ابن مجاهد من ألف في السبعة، فبالتالي هو لا يكون أول من سيع السبعة، إلا إذا كان المقصود بالسبعة هؤلاء القراء السبعة الذين معهم الكسائي، لكن من حيث التأليف في السبعة، يعني من حيث التأليف في جمع سبع قراءات ابن مجاهد ليس هو الأول، وإنما

كان هناك قبله مؤلفات، بدليل أنه كان يعقوب من ضمن هؤلاء السبعة، لكن هل هؤلاء السبعة الذين كانوا في زمن يعقوب، هل هم المقصود بهم نافع وابن كثير وأبو عمرو؟ الله أعلم.

لكن حسب المؤلفات التي ذُكرت في القرن الثالث الهجري، والقرن الثالث الهجري يعني انتهى القرن الثالث الهجري ولا يُعرف أن هناك كتابًا جمع القراءات السبع، لا يُعرف.

ليس أنه لا يوجد، لكن لا يُعرف، الكتب التي وصلتنا في القرن الثالث إما مؤلفات في قراءة واحدة، إما مؤلفات في قراءتين، إما مؤلفات كتأليف ابن جبير في خمس قراءات، ما هي هذه الخمس قراءات؟ لا أحد يدري، ما هي هذه القراءات الثلاثة؟ لا أحد يدري، لكن نحن نقول: النص يدل على أن هناك تأليفًا في القراءات السبعة، لكن حتى تسلم عبارة العلماء بأن الإمام ابن مجاهد هو من سبع السبعة نقول المقصود به أول من سبع هؤلاء السبعة نافع بن كثير، أبو عمرو بن عامر، عاصم، حمزة الكسائي، ومن قبلهم ممن ألف في السبعة كان يجعل يعقوب.

طيب في نفس القرن الذي كتب فيه الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه كتابه السبعة، في نفس القرن وهو القرن الرابع، ولهذا نقول: القرن الرابع هو أول القرون وصل لنا أن التأليف في القراءات السبعة قد بدأ فيها، ولهذا يقولون: الإمام ابن مجاهد ألف السبعة في حدود الثلاثمائة، يعني في حدود السنة الثلاثمائة وهذا ذكره الإمام السخاوي رحمة الله عليه، وأيضًا ذكره الإمام مكي بن أبي طالب.

فنقول: الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه في عصره، يعني ما بين سنة ثلاثمائة وثلاثمائة وثمانين ألفت كتب في القراءات السبعة غير ابن مجاهد، طيب هذه الكتب السبعة مثل النقاش وغيرهم هل هي في نفس هؤلاء السبعة الذين كتب عنهم ابن مجاهد؟ لا ندري لأنه لم تصلنا، ربما، ربما يكون هؤلاء السبعة في القرن الرابع الهجري الذين ألفوا مؤلفات خاصة بالقراءات السبعة ربما يكونوا نفس السبعة الذين كتبهم ابن مجاهد، وإن كانت تختلف رواياتهم وطرقهم عن روايات وطرق ابن مجاهد، لكن لا نستطيع الجزم في ذلك.

في القرن الرابع كما قلنا بدأ الانتشار في التأليف في القراءات السبعة، نأتي إلى مسألة ما هو اختيار الإمام ابن مجاهد؟ طبعاً القراءات من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمن ابن مجاهد يعني كانت تُروى بالتلاوت، بالتلقي، وكلما زاد الزمن وكلما اتسعت رقعة العالم الإسلامي كلما كثرت الروايات وكثرت الطرق، حتى جاء الإمام ابن المجاهد فجمع هذه القراءات السبعة وبنهاها على اختياره.

ولهذا نقول: ... ما هو منهج الإمام ابن مجاهد في الاختيار؟

حقيقةً حتى نستوعب ذلك لا بد أن نقرأ مقدمته، فإذا قرأنا مقدمة كتاب السبعة سنعرف ذلك.

يقول الشيخ رحمة الله عليه، وأنا أقرأ لكم من النسخة المطبوعة، يقول الشيخ رحمة الله عليه: "وأنا ذاكرٌ..... ومخبرٌ عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام....." أي سيذكر القراء الذين في الحجاز والعراق والشام الذين هم القراء السبعة، فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفرع إليه حفاظ القرآن في كل مصرٍ من أمصار المسلمين، ثم قال: ومنهم من يعرب ولا يلحن، ثم قال: ومنهم من كذا ومنهم من كذا.

هذا النص هو الذي نستطيع أن نستقي منه اختيار الإمام، أو ما هو الضابط الذي بنى عليه الإمام ابن مجاهد اختياره؟؟، لاحظ معي يقول:

"فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات، أي اللغة العربية، والمقصود باللغة العربية هنا ليست مفردات اللغة، وإنما المقصود بها النحو ومعاني الكلمات، البصير بعيب القراءات، يعني يميز بين القراءات الصحيحة والقراءات الضعيفة والقراءات المنقطعة الإسناد وغير ذلك، المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفرع إليه حفاظ القرآن في كل مصرٍ من أمصار المسلمين".

هذه الأوصاف هي الضابط الأساس الذي جعل الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه يستقي هؤلاء القراء السبعة.

هذا الكلام حقيقةً إذا فهمناه نحن بهذا الفهم لنا دليلٌ عليه، وهذا الدليل ذكره الإمام السخاوي رحمه الله عليه، أو ذكره الإمام أبو شامة نقلاً عن السخاوي رحمه الله عليه، فيقول أبو شامة: إن السخاوي قال: "لما كان العصر الرابع في سنة ثلاثمائة وما قاربها، يعني ما يجزم.... هل هو ثلاثمائة أو ثلاثمائة وواحد أو ثلاثمائة واثنين؟ الله أعلم، كان أبو بكرٍ أي ابن مجاهد انتهت إليه الرياسة في علم القراءة، يعني ابن مجاهد تقدم أهل عصره، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف.

لاحظ أولاً: إذن الاختيار عن الإمام ابن مجاهد أولاً لا بد أن يكون القارئ الذي اختار له أن تكون قراءته موافقةً لرسم المصحف، ومن القراء، يعني واختار من القراء من اشتهرت قراءته. إذن الاختيار عن ابن مجاهد رحمه الله عليه للقارئ أن يكون هذا القارئ اشتهرت قراءته، فنقول: ومن القراء من اشتهرت قراءته، إذن الاختيار عنده للقارئ أولاً: أن يكون هذا القارئ ملماً باللغة العربية وبوجوه الإعراب والقراءات التي ذكرناها قبل قليل، تلك الأوصاف يضاف إليها أن تكون قراءته مشتهرة.

إذن لا يمكن أن يأتي بقارئ قراءته غير معروفة في بلده، يعني لا يمكن أن يأتي بقراءةٍ لواحدٍ من قراء البصرة وأهل البصرة لا يعرفونها، إذن لا بد في الاختيار الذي بنى عليه اختياره للقارئ أن تكون قراءة هذا القارئ مشهورة في بلده، وفاقته معرفته.

لاحظ: وصف القراءة أن تكون مشتهرة، ووصفٌ للقارئ أن يكون ملماً ويكون عالماً وكذا كذا، ويكون معرفته عالية، وأن يكون، أي هذا القارئ، أن يكون تقدم أهل زمانه في الدين والإمامة والمعرفة واختاره أهل عصره في هذا الشأن.

إذن، والكلام لم ينته، وأطبقوا، أي أهل عصر هذا القارئ الذي اختاره ابن مجاهد، يعني الشرط عند ابن مجاهد من هذه الشروط أن يُطبَّق أهل ذلك العصر على قراءة هذا القارئ، وأن يُقصد من سائر الأقطار، وأن تكون طالت ممارسته للقراءة والإقراء، يعني ما يكون جلس سنة سنتين في الإقراء، وإنما يكون طال به الزمن وهو يقرئ ومتخصص في هذه القراءة.

وُخِصَّ في ذلك بطول البقاء، يعني أكرمهُ اللهُ بطول العمر، فاختر ابن مجاهد هؤلاء السبعة أئمة الأمصار.

هذا الكلام ذكره الإمام أبو شامة في كتابه المرشد، تحقيق طيار آلي قولاج في (ص: ١٦٠) وهو نقلاً عن الإمام السخاوي.

هذه النقاط كلها كل واحدةٍ منها هي نقطة في اختيار الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، إذن عندما نقول ما مقاييس الاختيار عنده من حيث القراءة؟ يعني ما هي الضوابط التي جعلها الإمام ابن مجاهد في القارئ أو ما هي الصفات التي لا بد أن تتوفر في القارئ حتى يختار قراءته؟ نقول: لا بد أن يكون القارئ متصف بهذه الأوصاف.

نلاحظ أن هذه الأوصاف حقيقةً هي جامعةٌ للقارئ وجامعةٌ للقراءة نفسها، يعني مثلاً لو طبقنا هذا الكلام على حفص كمثل وهو المشهور، أو على عاصم وهو القراءة المشهورة حتى عند غير أهل القراءات إذن عاصم عندما اختاره الإمام لا بد أن يكون متصفاً، لا بد أن تكون قراءته سواء من طريق حفص أو من طريق شعبة لا بد أن تكون اشتهرت وهذا حدث بالفعل..... عاصم معروف، وتقدم أهل زمانه.

هذه الأوصاف كلها لو طبقها واحدة واحدة وأخذتها في المقياس وطبقها على القراء السبعة، بل على العشرة؛ ستجد أنها منطبقة فيهم، يعني كما نقول: حذو القُدَّةِ بالقُدَّةِ.

* **هنا أيضاً مسألة،** وهي متعلقة بالكلمة التي قلناها قبل قليل، إذا كانت هذه الأوصاف التي ذكرها الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه سواءً كانت ذكرها الإمام ابن مجاهد في كتابه..... أو هذه الأوصاف التي ذكرها الإمام السخاوي عنه.

هذه الأوصاف يا سيدنا الشيخ ابن مجاهد هذه الأوصاف تنطبق على الإمام يعقوب الحضرمي، طيب فلماذا لم تدخله؟ يعني هذه الأوصاف تنطبق على الإمام يعقوب، من حيث اللغة هو إمام في اللغة، من حيث الديانة هو إمام في الديانة..... فكل هذه الأوصاف التي تنطبق على القراء السبعة أو هذه الأوصاف التي جعلتها أنت يا سيدنا الشيخ ابن مجاهد هي للمقاييس التي بنيت عليها اختيارك للقراء السبعة تنطبق فيه، لماذا حذفت الإمام يعقوب ووضعت بدلاً منه الكسائي؟

حقيقةً هذا السؤال لم أجد الإجابة عليه، يعني ما وجدت فيما اطلعت عليه أحدًا ذكر ما سبب ترك الإمام ابن مجاهد ليعقوب، ووضع الكسائي بدلاً منه..... كلهم يقولون: وألحق ابن مجاهد الكسائي بدلاً يعقوب.

طيب لماذا؟ ما هي العلة؟ حقيقةً لم أجد، لكن مع البحث وجدت سببين أو ثلاثة أسباب ولم أجد من ذكرها، ولهذا أنا أذكرها وإذا كانت صوابًا فالحمد لله، وإذا كانت غير ذلك فالمستغفر هو الله عز وجل، نستغفر الله ونتوب إليه، السبب والله أعلم:

١- قد يكون لأن الكسائي شيخٌ ليعقوب، هذا قد يكون السبب.....

السؤال لماذا الإمام ابن مجاهد حذف يعقوب من القراء السبعة كما كان في زمن قبله ووضع منه الكسائي، مع أن الأوصاف التي ذكرها ابن مجاهد للقارئ متوفرة في الإمام يعقوب؟

العبد الضعيف يقول: قد يكون السبب هو أن الكسائي شيخٌ ليعقوب، يعني يعقوب سمع الحروف وروى الحروف عن الكسائي، فيكون الإمام ابن مجاهد لما رأى أن يعقوب تلميذ لأبي عمرو البصري، وأن الكسائي شيخٌ ليعقوب فربما، ربما قال لا، أنا أقدم الكسائي لأن هو الشيخ، فهو أولى. هذا سبب قد يكون صحيحًا وقد يكون غير صحيح. لكن هذا السبب المذكور، يعني تلمذة الإمام يعقوب على الكسائي موجودة في تراجمه، ذكرها الإمام ابن الجزري في غاية النهاية في ترجمته في الكسائي فقال: وممن روى عنه يعقوب الحضرمي روى عنه الحروف، وأيضًا في ترجمة يعقوب قال: وممن روى عنه، يعني ممن روى يعقوب عنه الكسائي، يعني يعقوب روى عن الكسائي الحروف. فالمعلومة المذكورة هنا وهناك، طيب هذا سبب قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ

٢- هناك سبب آخر، وهذا السبب أيضًا لم أجد من صرح به، لكن أسطورة موجودة في الكتب.

الإمام أبو شامة رحمة الله عليه يقول: "ومن البصرة أبو عمرو البصري، يعني يقول لما جاء يذكر أن ابن مجاهد أخذ القراء السبعة قال: ومن البصرة أبو عمرو البصري، ومن

الكوفة عاصم وحمزة، وهما من سوادها، ومن العراق الكسائي، ثم نافع من المدينة وابن كثير من مكة".

هذا النص الذي ذكره أبو شامة التفريق بين عاصم وحمزة وقال: عاصم وحمزة من الكوفة ومن سوادها، طيب لماذا لم يقل ومن الكوفة عاصم وحمزة والكسائي زي ما نحن نعرف الآن في الشاطبية، الكوفيين عاصم وحمزة والكسائي؟ طيب لماذا يا سيدنا الشيخ أبو شامة نقلت عن الإمام ابن مجاهد أنه قال: من البصرة، اختار من البصرة أبو عمرو، واختار من الكوفة عاصم وحمزة، ومن العراق الكسائي؟

هذا النص يعني جعل الإنسان يفكر قليلاً لماذا قال؟ ولماذا أخرجه؟ يعني لماذا أخرجه من الكوفة مع أن المشهور عندنا الآن أن الكسائي من الكوفة؟! السبب والله أعلم أن الكسائي صحيح أنه أصلاً من الكوفة لكنه استوطن بغداد، فهو بغدادي، والذي نص على ذلك على أنه الأصل كوفي والاستيطان بغدادي ياقوت الحموي في كتابه: معجم الأدباء.

إذا كان هذا التحليل صحيح وهو أن الكسائي من بغداد، وهذا يشهد له كلام ياقوت الحموي ويشهد له أيضاً عبارة الإمام أبو شامة بأنه ما جعل الكسائي مع عاصم وحمزة من الكوفة، وإنما جعله من العراق، والعراق المقصود به بغداد، ويكون الإمام ابن مجاهد اختار الكسائي لأنه بغدادي، والإمام ابن مجاهد بغدادي، فكأنه قال، يعني كأن ابن مجاهد يقول: أنا اختار من البصرة وأختار من الكوفة وأختار من بغداد، وهذه الأسباب الله أعلم ربما تكون هي السبب في مسألة لماذا الإمام ابن مجاهد حذف يعقوب وأضاف الكسائي.

كما قلت، هذا لم أقف عليه عند أحد من الباحثين، يعني يصح بذلك، لكن النصوص التي ذكرتها كلها موجودة، أبو شامة فرق بين الكسائي وعاصم وحمزة فلم يجعله من الكوفيين، كذلك ياقوت الحموي ذكر أن الكسائي بغدادي استوطن بغداد، وابن مجاهد بغدادي، وبغداد كان فيها القراء، ولهذا أكثر القراء ومؤلفين القراءات هم من بغداد.

سبط الخياط بغدادي، ابن السوار بغدادي، أبو العلاء بغدادي، إلى غير ذلك.

الله أعلم، قد يكون هذا السبب، فتكون هذه إجابة على هذا السؤال وهو لماذا أخرج الإمام ابن مجاهد يعقوب من ذلك؟

٣- أيضاً قول ابن مجاهد، عندنا نص أيضاً يقوي هذا الكلام، والنص ذكره أو منقول عن ابن مجاهد يقول: "وكان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعضٍ وترك بعضاً، فاختر من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءةً متوسطةً غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة".

لاحظ: الكسائي يتخير القراءة، وأخذ من حمزة، واختار من قراءة حمزة وقراءة غير حمزة، قراءةً متوسطةً.....قراءة متوسطة نفهمها على المعنى اللغوي الأساس ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكذلك منه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أوسط قريش.

فالوسط في اللغة العربية من معانيها أنها تُطلق على الشيء الثمين، على الشيء الغالي، على الشيء الذي له قيمة، فكذلك هنا، واختار قراءةً متوسطةً: يعني قراءةً قويةً مهمةً، سمّيا كما شئت من هذه الأوصاف، غير خارجة عن آثار من تقدم.....

قد تكون هذه الثلاثة أسباب أو هذه الثلاثة مسائل هي السبب في اختيار الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه ليعقوب، لكن يبقى أيضاً السؤال نفسه: يعقوب رحمة الله عليه له رواية وتتوفر فيه جميع الشروط.... نحن ذكرنا هذا من باب البحث العلمي ليس إلا، ربما الزمن القادم يأتينا بمسائل أو بكلام يصح فيه إما ابن مجاهد وإما غيره من كبار العلماء، يصح بالسبب الذي جعله يترك يعقوب مع القراءة السبعة.

أيضاً حقيقةً هنا لا بد أن نقف عند هذه الاختيارات، أو هذا المنهج، أو هذه المقاييس التي جعلها الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، يعني جعلها للاختيار لا بد أن نقف عندها قليلاً، قبل أن نذكر هذه بالتعليق بقيت نقطة وهو نصٌ حقيقةً أعتقد أنه للإمام أبي شامة رحمة الله عليه، نقلته لكن لم أكتب المصدر، لكن يغلب على الظن أنه لأبي شامة، يقول: "وإنما ألحق يعقوب بهؤلاء السبعة أخيراً؛ لكثرة روايته وحسن اختياره ودرايته". المرشد صفحة ١٥٤.

قال: يعني وإنما "ألحق" يعني يعقوب بالسبعة ألحق بعد ابن مجاهد....فمن ألف بعد ذلك أضاف يعقوب مع القراءة السبعة فجعله القارئ الثامن، والله تعالى أعلم.

أيضًا هذا اعترافٌ من العلماء في ذلك الزمن بمكانة الإمام يعقوب، وكذلك لا ننسى عبارة الإمام ابن الجزري رحمة الله عليه في بيان أنه من الخطأ عدم اعتبار قراءة يعقوب قراءة متواترة، وقد ذكر ذلك في ترجمته للقراء السبعة، في ترجمته ليعقوب في كتاب: غاية النهاية.

هذه الضوابط التي ذكرها الإمام ابن مجاهد: أن يكون القارئ ملماً بالقراءات، أو يكون ملماً بالعربية، وقلنا المقصود بالعربية هنا اللغة، وهذا التمييز لا بد أن يُعرف، في كتب القدماء يقولون: فلان كان قويًا في اللغة ضعيفًا في العربية، أو قوي في العربية ضعيف في اللغة، يعني العربية المقصود بها ما نسميه الآن النحو.

الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه هو نفسه لما بدأ حياته بدأها نحويًا، لم يبدأها كمتخصص في القراءات وإنما بدأها نحويًا، والنحو يساعد على معرفة القراءات، وإن كان النحويون لهم ضوابط أحيانًا تختلف عن ضوابط القراءات لكن هذه ليست إشكال، فالإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه لمعرفته بأهمية الإمام باللغة العربية نحوًا جعل هذا من الأوصاف التي لا بد أن تتوفر في القارئ الذي يختاره، لا بد أن يكون ملماً باللغة.

أيضًا الإمام برسم المصحف، وهذه أيضًا الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه لم يغفلها، أيضًا مسألة الاهتمام بالسند، لولا السند لما صحت أي قراءة، فإذا انقطعت أسانيد القراءة انقطع القبول بها، فلهذا الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه ركز على هذه القضية، طبعًا هذا السند حقيقةً من باب البحث العلمي، ومن باب الأمانة العلمية هناك مسألة يجب أن نقف عندها قليلًا وهي: **إذا كان الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه يهتم بالسند، وهذا لا بد منه، فلماذا الأسانيد، أسانيد التلاوة في كتابه السبعة قليلة جدًا؟**

نحن لا نتكلم عن ابن مجاهد في مروياته كلها، لا ندري ما هي، لكن في كتابه السبعة الذي وصلنا، أسانيد التلاوة قليلة جدًا، ولخصتها، وجدتُ -وهذا موجود في كتابه السبعة:-

- في قراءة نافع، هو يروي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، هذه تلاوة يقول فيها: قرأتُ.

وأيضًا من طريق الدوري، يعني الدوري عن إسماعيل بن جعفر عن نافع، لكن من طريق قالون أو من رواية قالون فهي إجازة، وكذلك من رواية ورش هي إجازة، يعني في كتاب السبعة لا يوجد للإمام ابن مجاهد إسناد تلاوة، أنا أتكلم عن السبعة، لا يوجد في كتاب السبعة إسناد تلاوة لورش وقالون، الإسناد عن نافع في كتاب السبعة إنما هو من رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وإسماعيل بن جعفر هو مثله مثل ورش وقالون، هو تلميذ لنافع. هذا بالنسبة لنافع، إذن قالون وورش ليس تلاوة وإنما هو إجازة.

- طيب في قراءة ابن كثير رواية قنبل تلاوة؛ لأن ابن مجاهد قرأ على قنبل مباشرة، يعني ابن مجاهد تلميذ لقنبل، فبالتالي قرأ عليه، ما فيه إشكال، لكن رواية البري إجازة.

إذن في قراءة نافع ورش وقالون إجازة، في قراءة ابن كثير قنبل تلاوة والبري إجازة.

- في قراءة عاصم من الروايتين يعني من رواية شعبة ومن رواية حفص كلها إجازة، يعني ما عنده في كتاب السبعة، ما عنده إسناد تلاوة في قراءة عاصم لا من رواية حفص ولا من رواية شعبة.

- نأتي إلى حمزة، ونذكره بالترتيب الذي هو ذكره، يعني هو أولاً قال نافع، بعدين ابن كثير، بعدين عاصم، بعدين حمزة،

- نأتي إلى حمزة، فعنده تلاوة في رواية الدوري عن سليم عن حمزة، ونحن طبعًا الآن نحن نقرأ في رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة، إذن رواية الدوري عن سليم عن حمزة لم تصلنا، لكن الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه قد قرأ بها تلاوةً، فهي موجودة تلاوةً في كتاب السبعة، لكن رواية خلف وخلاد رواية إجازة وليست تلاوة.

- رواية الدوري عن الكسائي هذه تلاوة، لاحظ معي: رواية الدوري عن سليم عن حمزة تلاوة، ورواية الدوري في قراءة الكسائي، رواية الدوري عن الكسائي هذه تلاوة، أما رواية أبو الحارث فهي إجازة، وطبعًا الدوري، هذه سنذكرها بعدين.

- طيب نذهب إلى قراءة أبي عمرو، وأنا قلت نتبع الترتيب الذي ذكره الشيخ في كتاب السبعة، بعد أن ذكر حمزة ذكر الكسائي ثم رجع إلى أبي عمرو فقال: رواية الدوري عن أبي عمرو تلاوة قرأ بها، أما في رواية السوسي فهي إجازة
- القارئ الأخير وهو السابع وهو ابن عامر من الروائين، يعني ابن ذكوان وهشام كلها إجازة وليست تلاوة.

إذن كتاب السبعة مع جلاله قدره وجماله قدر مؤلفه ليس فيه إسناد تلاوة مما وصلنا من القراء السبعة ورواتهم غير قابل ودوري الكسائي ودوري أبي عمرو.

إذن، ولهذا الإمام ابن الجزري رحمة الله عليه استقى منه ست طرق، يعني الستة طرق هي التي وصلتنا بالإسناد المتصل من عند ابن الجزري إلى ابن مجاهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذه ست طرق، ومذكورة وذكرناها في أثناء التعليق على النشر.

.... هذه حقيقة نقطة يحتاج أن تُدرس، وما رأيت الذين كتبوا عن ابن مجاهد، ما رأيتم درسوها، لكن أشاروا إليها أنها تلاوة وكذا وإجازة، لكن العلة لماذا؟

لا شك أن الإمام ابن مجاهد ومن جاء بعده من الأئمة....ربما في زمنهم كانوا يعتبرون الإجازة، يعتبرونها إسنادًا ويحق لك من خلاله أنك تقرئ وتعطي إجازة بالتلاوة، وهذا مذهب مال إليه الإمام أبو العلاء الهمداني صاحب الغاية، لكن عند المحققين من أهل القراءات هذا لا، إذا كنت أُجرت بالقراءة إجازة فقط لا يحق لك أن تجيز بها غيرك كتلاوة، فمن يُجاز الآن من يُجاز بكتاب السبعة لا يحق له أن يُقرئ بهذه القراءات التي هي إجازة.

يعني لا يحق له أن يعطي سندًا، لنفرض أن بعض الناس عندهم إجازة بكتاب السبعة؛ لا يحق له أن يعطي إجازة تلاوة في قراءة ابن عامر من الروائين، ولا في قراءة أبي عمرو من رواية السوسي، ولا في قراءة الكسائي ن رواية أبي الحارث، ولا في قراءة حمزة كله، ولا في قراءة عاصم كله، ولا في رواية البزي، ولا في رواية نافع، لكن تعطي إجازة بأن هذا الكتاب وأنت تجيزه رواية؛ لا إشكال في ذلك.

حقيقةً لما قرأت أن من مقومات الاختيار عن الإمام ابن المجاهد ومسألة السند واهتمامه بالسند استوقفتني هذه القضية، طبعًا هم ذكروا ذلك، يعني من كتب عن ابن مجاهد يقول: إن مقاييس الاختيار عنده السند وقوة السند.

طبعًا لكن بمفهومنا المعاصر الآن لو طبقنا المنهج المعاصر عندنا الآن بأن الأسانيد المعمول بها هي أسانيد التلاوة يكون كتاب السبعة هو كتاب خير وبركة، إنه كتاب مؤلف من ألف ومائتين سنة فيه خير وبركة، والمؤلف رجل عالم من العلماء ويعطينا بركته ويعطينا بركة العلم الذي جاء به، فما عنده إلا ثلاث روايات تلاوة، لكن للأمانة العلمية هذا ليس قادمًا في كتاب السبعة.

كتاب السبعة الأمة تلقته بالقبول، وكبار العلماء أخذوه ورووه، لكن نحن نتكلم عنه من خلال مفاهيمنا المعاصرة الآن، أما مفاهيم القدماء لا، كانوا يجيزون، ولهذا لا يخلو في الغالب لا يخلو سند من الإمام الداني في أي كتاب من كتبه إلا وفيه ذكرٌ أو سندٌ للإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، حتى في التي ليس له فيها إجازة، وهذا لا علاقة لنا به الآن لأنه يتعلق بالإمام الداني، لكن فقط يعني استشهدنا بالإمام الداني لبيان أن هذه الأسانيد التي اهتم بها الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه في ذلك الزمن كانت تعني شيئًا لا تعنيه لنا الآن.

بقيت نقطة أو نقاط.... الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، كما ذكرنا قبل قليل بنى اختياره للقراء أو للقراءات على ما شاع في الأمصار، والكلام الذي ذكره هناك، وكان يعتمد على أقرأ أهل عصره وأضببطهم إلى غير ذلك من الأمور التي أشرنا إليها.

الآن هل هذه المقاييس التي جاء بها الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، هل هي كافية أو هل هي ملزمة؟ ما معنى كافية وما معنى ملزمة؟ يعني أقصد بقولي كافية هل إذا توفرت هذه الأوصاف في عالمٍ ما أو في إمام ما، طبعًا نتكلم عن العلماء السابقين والأئمة السابقين، ودرسنا هذه الأوصاف كلها ووجدنا إمامًا أو عالماً أو قارئًا غير القراء العشرة يتصف بهذه الأوصاف، هل نعتبره من أصحاب الاختيار؟ ...

الإمام ابن شنبوذ رحمة الله عليه لماذا لا يكون قارئًا؟ الإمام ابن محيصة لماذا لا يكون قارئًا؟ الإمام اليزيدي وهو من أخذ عن أبي عمرو مباشرة وهو شيخ الدوري والسوسي لماذا

لا يكون قارئاً؟ طبعاً هؤلاء لم يجعلوا لأنفسهم اختياراً، ولو جعلوا لأنفسهم اختياراً ربما تلتقت الأمة اختياراتهم، ولو تركنا العصبية قليلاً ربما نقول ابن شنبوذ أولى بالاختيار من غيره، يعني من ابن مجاهد ومن هو في عصره.

طيب، فنقصد به كافية هذه، لماذا هذه الأوصاف؟ يعني كانت كافية في ذلك الزمن أما الآن لو وجدناها هل نطبقها؟ طبعاً هي لا توجد ولن توجد، يعني لن توجد، لماذا؟ لأن الرواية انتهت، رواية القراءات انتهت، انتهت بموت الإمام ابن الجزري رحمة الله عليه، وهذا ذكرناه كثيراً.

طيب هل هي ملزمة؟ هل هذه الأوصاف تلزمنا بأن أطبقها على كل من أحب أو كل من أرى أنه التزم بها أو أنه وصف بها؟ هل هي ملزمة للجميع؟ حقيقةً، وهذا السؤال يجيب على نقطة من التي طرحها سعادة مدير الجلسة حفظه الله، وهي هل العلماء تقبلوا هذا الاختيار وهو اختيار ابن مجاهد بهذه الأوصاف الذي ذكرها واختار من خلالها هذا؟

طبعاً الأمة تلتقت هذا الاختيار بالقبول، لكنهم لم يتفقوا على تصويبه للاختيار، يعني لم يتفقوا على تصويبه بتسميته السبعة، فمن أنكر على ابن مجاهد هو لم ينكر عليه اختياره، هو أنكر عليه تسميته بالسبعة.

فلو أن الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه ما سعى كتابه السبعة، أو ما اقتصر على هؤلاء السبعة فقط؛ ربما ما كان أحد اعترض عليه، لكن لما سعى كتابه السبعة، طبعاً تسمية الكتاب في حد ذاتها فيها بحث، هل الإمام ابن مجاهد سعى كتابه السبعة أم لا؟ الله أعلم، فيه بعض النسخ فيها كتاب السبعة وفيه بعضها ليس في كتاب السبعة، لكن نحن نقول إنه هو كتاب السبعة، فهل العنوان، هل ابن مجاهد أصاب في عنوانه؟ لنفرض أنه العنوان ليس من ابن مجاهد وهذا وارد جداً، طيب هل أصاب في اقتصاره على السبعة؟

بعض العلماء لم يستوعب هذه القضية، فلهذا قام وهاجم الإمام ابن مجاهد وقال، يعني إن ابن مجاهد عمل شيء لا يسلم له أو كذا، وأعني الإمام المهدي رحمة الله عليه.

وقد نقل نصه الإمام الجعبري والإمام ابن الجزري نقلوا نص المهدي، ودافع الإمام الجعبري عن ابن مجاهد وقال يعني كلام مذكور هناك.

الخلاصة أن هناك من العلماء من وقف ولو وقفه قصيرةً في نقد اختيار الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، لكن الصواب أنه لا يُعترض عليه، الإمام ابن مجاهد اختار هذه القراءات بهذه الأوصاف، والأوصاف كلها أتفق عليها، يعني لا نجد أحدًا اعترض على الإمام ابن مجاهد في كونه اختار نافعًا أو اختار أحدًا من القراء السبعة، لم يعترض عليه، فمعناه إن هذا الاختيار مسلم، لكن كونه يسبب شهية إنها سبعة حتى لا تُربط مع الأحرف السبعة، أنزل القرآن على سبعة أحرف، هذه مسألة ثانية الإمام ابن مجاهد لا علاقة له.

لكن أيضًا ومن باب الأمانة العلمية، والإنسان عندما يكتب بحثًا أو يراجع محاضرة يذكر كل ما وقعت عينه عليه مما هو متعلق بهذا الكتاب، فحقيقةً ونحن نتكلم عن اختيار الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه وقفت على نص، وإن كان ليس عن أهل القراءات، وليس عن القراء، وإنما هو نصٌّ عن أحد الأدباء وهو إمام الأدب في عصره أبو حيان التوحيدي رحمة الله عليه وغفر لنا وله وتجاوز عنا وعنه في كتابه من أحسن الأدب.

وهو في كتابه: البصائر والذخائر أو العكس الذخائر والبصائر، أعتقد أنه البصائر والذخائر وهو عبارة عن مجالس، فهناك كان يتكلم، فجاء في مسألة عن القراء أو عن القراءات، المهم اختلفوا فيها فاستدل عليه أحد بأنهم قالوا له: وهذا اختيار ابن مجاهد، فيقول أبو حيان التوحيدي عفا الله عنا وعنه، يقول: إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل اختياره لابن مجاهد.

حقيقةً ما وجدت من يضعف لا من الأدباء ولا من القراء، من يضعف ما فعله الإمام ابن الجزري غير هذين، يعني غير الإمام المهدي رحمة الله عليه، والإمام المهدي انتقاده ليس مثل انتقاد أبو حيان التوحيدي أبدًا، وإنما انتقاده في كونه سماه السبعة فربما ترتبط بحروف السبعة، وأبو حيان التوحيدي ممكن ندافع عنه لأنه كان في إطار الدفاع عن ابن شنبوذ، فكأنه كان ممن يميل إلى ابن شنبوذ رحمة الله عليه.

وحقيقةً ما وقع بين الإمام ابن مجاهد وابن شنبوذ نحن نقف فيه على الحياد، لا نقول إن الصواب مائة في المائة مع ابن مجاهد وإن ابن شنبوذ أخطأ مائة في المائة، ولا نقول عنهما إلا كل خير، حتى إن تلاميذ ابن مجاهد لما سُئل أبو طاهر بن أبي هاشم عن هذين

الإمامين، وكان بينهما ما بين الأقران، يعني ما بين ابن مجاهد وابن شنبوذ هذا لا يعنيننا في شيء، الاثنان كل واحد منهما عينٌ في رأس.

ولهذا لما سُئل أبو طاهر قال: كلهم عالم وكلهم إمام، والتفضيل بين العلماء، طبعاً التفضيل بين العلماء هذه من كيسي وليست من كلام أبي طاهر بن أبي هاشم.

فنقول: ما حصل بينهما نحن لا نتدخل فيه، ربما يكون ابن مجاهد عنده صواب من ناحية، وربما يكون ابن شنبوذ عنده صواب من ناحية، وهذا الكلام يعني جاء عرضاً، فنقول: التوحيدي إنما لما قال هذه العبارة وفيها مغمز وفيها ملمز لاختيار ابن مجاهد وأن الله لم ينزله من السماء طبعاً هي جاءت في عرض الدفاع عن ابن شنبوذ رحمة الله عليه.

ومثل هذه الأمور لا تعتبر دليلاً علمياً لكنها تثري البحث العلمي، لا بد أن نعرف ملابسات كل موضوع.

تكلّمنا على السند وقلنا واستغربنا أن الأسانيد بمفهومنا المعاصر الآن، أسانيد السبعة ضعيفة، ليست ضعيفة من حيث السند إنها ضعيفة بمفهوم المحدثين، لا، أنها كلها رواية، كلها أخبرني وأخبرني وأجازني، لكن ليس فيها قرأت قرأت إلا في الروايات التي ذكرناها.

العربية، وتكلّمنا فيها، وهذه نقف عندها قليلاً ولا نطيل، الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه قال، يعني جعل من أوصاف القارئ الاهتمام باللغة العربية، يا سيدنا الشيخ أنت في بعض الروايات أنت ضعفت القراءة بسبب ما، بسبب موضوع نحوي، وأنت إمام نحوي، هذا نفهم منه أن الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه كغيره من العلماء، عندما يبدوون في علم معين في بداية حياتهم ويصلون فيه إلى مرحلة معينة من الإتقان ومن المعرفة، ويتركون هذا التخصص ويذهبون إلى تخصص آخر يبقى شيء من ذلك التخصص.

وهذه صورة واضحة عند الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه، ابن مجاهد لما تقرأ في كتابه السبعة تجد أنه يطعن في بعض القراءات، طبعاً هذه ربما تكون غريبة شوية عند من لم يقرأ كتاب السبعة، يعني أحياناً يكون، وقرأ قنبل، وقنبل شيخ ابن مجاهد، فيقول: وقرأ قنبل كذا وهو غلطٌ. فغلط ابن مجاهد شيخه!

ولهذا قال الإمام أبو حيان الأندلسي رحمة الله عليه ونقلها عنه أيضاً السمين الحلبي عندما كان يُغلط قنبل، يعني أبو حيان كان يقول: تغليط ابن مجاهد غلطٌ، يعني تغليط ابن مجاهد لقنبل غلط، يعني الغلط هو أنك يا سيدنا الشيخ ابن مجاهد قمت بتغليط شيخك، فالصواب مع شيخك قنبل، ولهذا قال: تغليط ابن مجاهد لقنبل غلطٌ.

والإمام السمين الحلبي رحمة الله عليه أيضاً كان يقول: والعجب أن ابن مجاهد يغلط شيخه وهو قد أخذ عنه القراءة، لكن حتى نخرج من هذا نقول، وندافع عن الإمام ابن مجاهد، نقول: إنه لا يقصد تغليطه من حيث الرواية، وإنما يقصد تغليطه من حيث اللغة، يعني أن هذا الوجه غلطٌ في اللغة.

هل هذا يجوز أو لا يجوز؟ هذه مسألة أخرى، أهل اللغة وذات النحويون يعني عندهم عبارات في ردهم أو في طعنهم لبعض القراءات ربما يعني تكون صعبة علينا نحن الآن أن نسمعها، لكن هم لا يقصدون بها اللمز والغمز لكتاب الله عز وجل وإلا لكانوا كفاراً، وإنما لا بد أن نحاسيهم على مفهومهم هم لهذا الغرض ومفهومهم هم لهذا الرد.

فابن مجاهد مع اهتمامه باللغة العربية ومع اهتمامه بالأسانيد أيضاً بقيت عنده هذه الملحوظة وأنه يطعن في بعض القراءات بسبب هذا الشيء، إما أحياناً في كتابه السبعة إما أنه يغلطها من حيث السند وهذا موجود، أو أنه يغلطها من حيث الوجه النحوي، والإمام ابن مجاهد يعني بشر، يعني ليس معصوماً أن يبدر منه تغليط وجهٍ نحويٍ ربما لم يستقرئه.

ربما أيضاً لم يكن على مذهبه النحوي، ومعلومٌ أن النحويون مختلفون، هناك المدرسة البصرية، هناك المدرسة الكوفية، هناك البغدادية، هناك غيرهم، فيكون شخص يغلط إما قراءة معينة على وجهٍ معين، أو يغلط بيتاً من الشعر حسب قواعد مدرسته، وليس بالضرورة أن يكون هذا غلطٌ حسب المدرسة الأخرى، فلماذا نحسن الظن بهؤلاء العلماء وندافع عنهم بهذه الطريقة.

الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه قال: سأله رجل، وهذا موجود في ترجمته، قال: سأل رجل ابن مجاهد رحمة الله عليه لماذا يا شيخنا لا تختار لنفسك قراءة؟ مع أن الإمام

ابن مجاهد هو الذي اختار وهو أهلٌ للاختيار، لا شك في ذلك، الإمام أهلٌ للاختيار، وهو إمام عصره، ومع ذلك لما سُئل هذا السؤال: لماذا لا تختار لنفسك حرفاً فيُحمل عنك ويروى عنك كما روي عن غيرك ممن سبقك؟ قال رحمة الله عليه، قال كلمةٌ تُكتب بماء الذهب ليس في ذلك الزمن فقط وإنما في زماننا الآن، ونحن محتاجون لها كثيراً، وكثيراً من المشايخ والباحثين يحتاجون إلى هذه الفكرة وهذا الكلام.

لما سُئل قال: قيل له لماذا لا تختار فيُنقل عنك وأنت أهلٌ للاختيار؟ قال رحمة الله عليه: نحن أحوج إلى أن نُعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا. يعني نحن قصارى جهدنا أن نحفظ ما نقلناه عن أئمتنا ونحافظ عليه، نحن أحوج منا إلى اختيار حرفٍ يقرأ به من بعدنا؟

يعني محتاجين إننا نحافظ على هذا العلم الرباني الذي وصل إلينا عن طريق أئمتنا العلماء القراء الثقات، نحن في حاجتنا إلى حفظ هذا العلم أحوج منا إلى اختيار إلى أن نُعمل اختياراً جديداً، فنحافظ على ما وصلنا ولا نزيد عليه من باب الاختيار أو من باب الاجتهاد....

هذا الكلام نختم به هذه المحاضرة، ونلخص أن الاختيار عند الإمام ابن مجاهد رحمة الله عليه لم يكن اختياراً عشوائياً، إنما كان اختياراً مدروساً مبنياً على أسس علمية ودينية، لا بد فيها من الديانة، ولا بد فيها من الأمانة، ولا بد فيها من العلم، ولو نلاحظ المسائل التي ذكرها كلها علمٌ فيما يتعلق بكتاب الله عز وجل، كتاب الله عز وجل يحتاج إلى العالم بوجوه الإعراب، العالم باللغة، العالم بالقراءات.

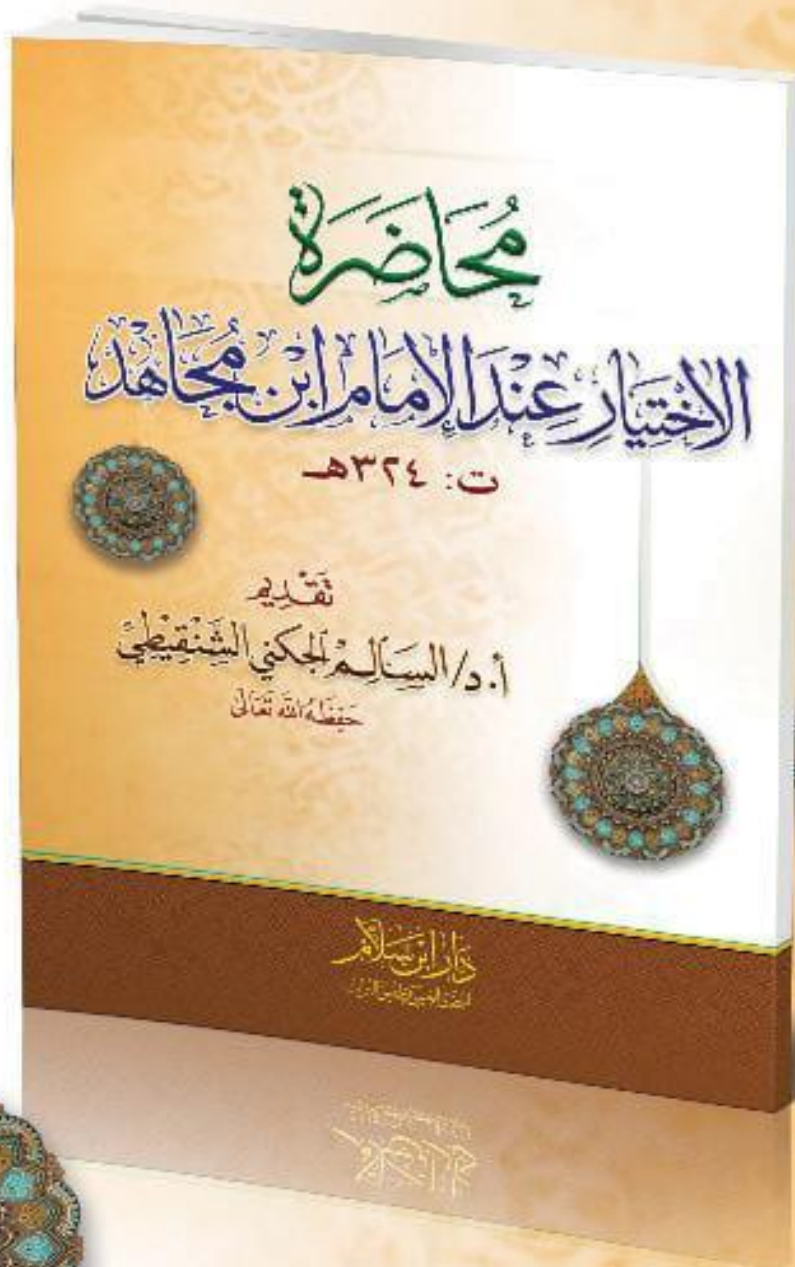
فهذه الأوصاف كلها جعلت الإمام رحمة الله عليه يختار هذا الاختيار لهؤلاء القراء، واختار أن يكون هذا القارئ كما نقول الآن شهادة تعريفه:

أن يكون متخصصاً جداً في هذا الإقراء، وأن يكون متفرغاً لهذا الإقراء، فكل هؤلاء القراء الذين اختارهم بهذه الأوصاف التي ذكرها كلها كانت منطبقة على هؤلاء السبعة الذين اختارهم، ومن بعد ذلك العلماء واصلوا المسيرة وطبقوا هذه الاختيارات، فأروا أنها تنطبق على الثلاثة المتممين للعشرة.

ربما يأتي واحد يقول: طيب ابن محيصة من القراء الأربعة، قد يكونوا في العلم ليسوا أقل من هؤلاء، وقد يكونوا في الديانة ليسوا أقل من هؤلاء، لكن علمهم لم يستمر بالاتصال، فيكاد ينقطع ولا يوجد إلا في الكتب، وربما أهل المصر لا يعلمونه، وضربنا مثلاً على ذلك، ابن محيصة مع ابن كثير في مكة، فقراءة ابن محيصة أو اختيار ابن محيصة لم يشتهر لأن أهل مكة لم يكن يعرفوه، والإمام ابن مجاهد جعل من اختياره أن يكون أهل عصره وأهل مصره يعرفونه، يعرفون هذا الاختيار ويقرؤون به.

ووقفنا أيضاً عند السبب الذي جعل الإمام ابن مجاهد لا يدخل يعقوب وقلناه تخميناً قد يكون صواباً وقد يكون غير صوابٍ، وهذا والله سبحانه وتعالى أعلم، وأعتذر إن كنت أطلت عليكم، ونترك المجال إن شاء الله لأسئلة إذا كان هناك أسئلة، وإذا فاتني شيء فارجو التنويه والتنبيه عليه.....

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين



دار ابن سلام
للبحر العلوي ومختصر التراث